٦ الثورة .. والمفهوم الخاطئ للنظام

جاءت الثورات المصرية مناهضة لثقافة الإفساد وإجرام السلطة التي مارسها النظام الحاكم لسنوات طويلة، عاش فيها الإنسان المصري حالة من الضياع المنهجي، تلك الحالة التي أفقدته التواصل مع ذاته من ناحية ومن ناحية ثانية مع معطيات المجتمع الذي يعيش فيه، فضاعت روح الانتماء وانكسرت الإرادة، ولانت الهمم، وتمططت الضمائر والذمم، وباتت اللامبالاة أو ما يعرف بالتول الاجتماعي هو السمة الغالبة لخصائص الشاب المصري، فلم يكن هناك إنتاج قابل للتصدير، ولا أعمال دخلت ذاكرة التاريخ، ولا تعليم ولا إبداع تألق للعالمية، وكأن الإبداع في مصر انتهى منذ السبعينيات من القرن الفائت، وبيت القصيد في ذلك كله هي حالة الفساد المنظومي أو الإفساد المنظم التي لمسها الإنسان المصري في شتى ميادين الحياة صحة وتعليمًا وخلافه، وجاءت الثورة لتضع أيدينا على مواطن الفشل والضياع؛ أملًا في استمرار الشخصية المصرية المتفردة وتنمية قدراتها على التعايش والتواصل مع مجتمع العولمة، إلا أن كثيرًا من الناس أدركوا الثورة إدراكًا خاطئًا، وراحوا يعبثون بكل ما هو نظامي أو منظم، فلم يثورا فقط من أجل إسقاط نظام مبارك وإنما سعوا بدون وعي لإسقاط النظام الحياتي للشعب، وأماطوا اللثام عن الوجه الأسوأ في العلاقات الاجتماعية، فوضعوا جل همهم في تغيير قيادات الحكومة والحزب الوطني المنحل؛ متجاهلين حالة الفساد والفبركة الممنهجة التي مارسها المصريون حكومة وشعبًا،

حتى صار الفساد ثقافة متأصلة في السلوك الإداري.. ولم تزد الثورة هذا السلوك إلا عمقًا حتى بات الانفلات والفوضى هي السمة الغالبة للمرحلة الراهنة.. وأصبح المسئولون عن النظام يدًا لا تعرف العقاب وإنما التسكين والطبطبة، فنسى رجال الشرطة واجبهم في تأمين الشارع وتسيير حركته، وُوضِع التعليم الذي هو هدف الثورة في مأزق تاريخي محتوم، إذ أنه انتظم شكلًا واختل مضمونًا ومنهجًا، حيث سماح المسئولون عن التعليم لحملة الدبلومات المتوسطة بالعمل في التدريس مستندين على شهادات خبرة مفبركة بالعمل في هذا المجال واتجه آخرون إلى الاعتصام والإضراب مطالبين بحقوق مادية .. متناسين أن العمل واجب أخلاقي والأجر رزق مكفول من السماء، مما يبشر بارتفاع معدلات التسرب الدراسي وتزايد الأميون. وما ينتج عن ذلك من تفشي لظواهر التسول وأطفال الشوارع وعمالة الأطفال وغيرها، وأقحم أساتذة الجامعات الطلاب في التحريض ضد إسقاط أو تشويه أساتذة آخرون، لقد استقطب الأساتذة الطلاب إلى حلبة الصراع على السلطة.. فضاعت الهيبة وضاع الهدف .. فهم بذلك يساهمون في إسقاط جيلًا كاملًا من حسابات الثورة، ربما شكل هذا الجيل في – حالة فشله الدراسي – قنبلة موقوتة تسهم في إسقاط الثورة وحرق مكتسباتها؛ ولهذا فإنني أطالب المتظاهرين والمضربين في شتى المجالات وأقول لهم إن كانت لكم مطالب فعليكم حقوق وواجبات يجب أن تؤدوها أولًا، وكما أنكم شكلتم ائتلافات للمطالبة بالحقوق، فعليكم أن تشكلوا لجانًا لمراقبة الأداء في شتى ميادين العمل والإنتاج، بما يضمن الانضباط في العمل والحفاظ على النظام الحياتي اليومي للمواطن، حتى يتسنى لنا النهوض والخروج من براثن المرحلة الانتقالية المتأزمة التي نعيشها، فلا بد للثورة إن لم يكن لها قائدًا أن يكون لها عقلاء يتحملون مسئولية الحفاظ على نظام الدولة، وتحقيق أهداف الثورة ومطالب الشعب.

□ □ □ □